تجارة الرقيق في ولايات المغرب العربي (1711_1835م)

أ.د وفاء كاظم ماضي الكندي

جامعة بابل / كلية التربية للعلوم الإنسانية

Fatmalrbyy98@gmail.com

الباحثة / فاطمة حسين جواد

أولاً – الملخص :

تنـاول هـذا البحـث دراسـة تجـارة الرقيـق فـي ولايـات المغـرب العربـي خـلال القـرنين الثـامن عشــر وبــدايات القــرن التاســع عشــر، بوصــفها إحــدى الظــواهر الاقتصــادية والاجتماعيــة التــي أســهمت فــي تشــكيل البنيــة الاقتصــادية والعلاقــات السياســية فــي المنطقــة ، ويركّــز البحــث علــى ولايــات طــرابلس الغــرب والجزائــر وتــونس ، باعتبارهــا مراكــز رئيســية لنشــاط هــذه التجــارة ، مستفيدة مـن موقعهـا الجغرافـي الـذي ربـط بـين عمـق القـارة الإفريقيـة وحـوض البحـر الأبـيض المتوسـط ، سـعى البحـث إلـى تتبّـع نشـأة تجـارة الرقيـق وتطوّرهـا ، وبيـان طـرق جلـب الرقيـق عبـر القوافـل الصـحراوية والنشـاط البحـري، مـع إبـراز الخصوصـيات التـي ميّـزت كـل ولايـة ، فقـد اعتمـدت طـرابلس الغـرب أساسًـا علـى التجـارة الصـحراوية ، فـي حـين غلـب الطـابع البحـري القـائم علـى الأسـر والفـداء علـى تجـارة الرقيـق فـي ولايـة الجزائـر، بينمـا اتسـمت التجربـة التونسـية بدرجـة أكبـر مـن التنظـيم الإداري ، وتـأثرت مبكـرًا بالإصـلاحات الداخليـة والضـغوط الأوروبيـة ، كمـا يناقش البحـث الأبعـاد الاقتصـادية والاجتماعيـة لتجـارة الرقيـق ، مـن حيـث دورهـا فـي دعـم ماليـة الدولـة وتـوفير الأيـدي العاملـة ، إلـى جانـب مـا خلّفتـه مـن آثـار اجتماعيـة وإنسـانية عميقـة ، ويتنـاول كـذلك الموقـف الـدولي مـن هـذه التجـارة ، موضـحًا كيـف تحوّلـت قضـية الرقيـق إلـى أداة ضـغط سياسـي اسـتغلّتها القـوى الأوروبيـة للتـدخل فـي شـؤون ولايـات المغـرب العربـي ، ويخلـص البحـث إلــى أن تجــارة الرقيــق شــكّلت ظــاهرة مركّبــة تــداخلت فيهــا العوامــل الاقتصــادية والسياســية والاجتماعيـة ، وأسـهمت فـي إضـعاف البنيـة الداخليـة لولايـات المغـرب العربـي ، ومهّـدت ، بشـكل غير مباشر، لتزايد النفوذ الأوروبي في المنطقة خلال القرن التاسع عشر.

Abstract:

This research examines the slave trade in the states of the Maghreb during the eighteenth and early nineteenth centuries, as one of the economic and social phenomena that contributed to shaping the economic structure and political relations in the region. The research focuses on the western states of Tripoli, Algeria, and Tunisia, as they are major centers for the activity of this trade, taking advantage of their geographical location that links the depth of the African continent with

the Mediterranean basin. The research seeks to trace the origins and development of the slave trade, and to show the methods of bringing

slaves through desert caravans and maritime activity, while highlighting the peculiarities that distinguished each state. Western Tripoli relied mainly on desert trade, while the maritime character, based on captivity and redemption, dominated the slave trade in the Algerian state, while the Tunisian experience was characterized by a greater degree of administrative organization, and was early influenced by internal reforms and European pressures. The research also discusses the economic and social dimensions of the slave trade, in terms of its role in supporting state finances and providing manpower, in addition to the profound social and humanitarian effects it had. It also addresses the international position on this trade, explaining how the slave issue turned into a political pressure tool that European powers exploited to interfere in the affairs of the Maghreb states. The research concludes that the slave trade constituted a complex phenomenon in which economic, political and social factors intersected, contributed to weakening the internal structure of the Maghreb states, and indirectly paved the way for the increase of European influence in the region during the nineteenth century.

المقدمة :

تُعدّ تجارة الرقيق من أبرز الظواهر الاقتصادية والاجتماعية في ولايات المغرب العربي خلال القرنين الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، لما لها من دور مباشر في تشكيل البنية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للمنطقة ، فقد أسهم الموقع الجغرافي الاستراتيجي لهذه الولايات في ربط عمق القارة الإفريقية بسواحل البحر الأبيض المتوسط ، مما جعلها حلقة وصل محورية في شبكة واسعة من التجارة الإقليمية والدولية ، فالرقيق لغة واشتُقّ لفظ (الرقيق)من (الرّق) ، ويُقال: رَقَّ العبد وأرقَّه واسترقَّه ، أي أدخله في العبودية ، وسُمِّي العبد رقيقًا لِما فيه من خضوعٍ وانقيادٍ لسيّده ، وقيل: الرِّق بالكسر يعني الملك والعبودية .

وهدف البحث إلى دراسة تجارة الرقيق في ولايات طرابلس الغرب والجزائر وتونس ، من خلال تتبّع نشأتها وتطوّرها ، وتحليل طرق جلب الرقيق عبر القوافل الصحراوية والنشاط البحري ، وإبراز الخصوصيات التي ميّزت كل ولاية ، كما يسعى البحث إلى استكشاف الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية لهذه التجارة ، وآثارها على البنية الداخلية للولايات ، إلى جانب دراسة الموقف الدولي منها والضغوط الأوروبية التي ساهمت في الحدّ منها تدريجيًا ، ومن خلال هذا التحليل ، يقدّم البحث رؤية شاملة لدور تجارة الرقيق في التاريخ الاقتصادي والاجتماعي للمغرب العربي خلال فترة التحولات الكبرى.

قسم البحث إلى مقدمة وثلاثة محاور وخاتمة تضمن المحور الأول تجارة الرقيق في ولاية طرابلس الغرب خلال الأعوام (1711_1835م) ، أما المحور الثاني فقد تحدث عن

تجارة الرقيق في ولاية الجزائر ، والمحور الثالث تناول دراسة تجارة الرقيق في ولاية تونس ، فضلاً عن تضمنها للخاتمة التي تشمل أهم ما توصلت لها الباحثة من النتائج .

أعتمد البحث على مجموعة من المصادر التي لها أهمية بارزة في كتابة البحث وكان من أهمها مصدر وليد شعيب آدم ، تجارة الرقيق عبر صحراء إيالة طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر . ومن المصادر الأجنبية التي ساهمت في كتابة البحث هو المصدر التالي :

Abel Clarin De Larive Abla Gheziel , Captifs et captivites en mediteranee a l'epoque modern : Captifs et captivite dans laregence d'Alger (xviie _ debut xixe siècle) .

ورسالة الباحث عبد الصمد عبد القادر عبد الصمد ، الأوربيون وتجارة القوافل الصحراوية في ولاية طرابلس الغرب _ ليبيا _ في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . وكذلك مجلة للمؤلف صالح عثمان عبد الكريم أبو الخير ، تجارة الرقيق وتأثيرها على المجتمع الليبي . فقد ساهمت في معرفة أهم الآثار الاجتماعية لتجارة الرقيق في ولاية طرابلس الغرب وتأثيرها على المجتمع الطرابلسي .

المبحث الأول

تجارة الرقيق في ولاية طرابلس الغرب

أولاً : بداية التجارة بالرقيق

ارتبطت ولاية طرابلس الغرب بالنشاط التجاري منذ أقدم العصور، وكان لتجارة الرقيق دور محوري في هذا النشاط ، حيث جلبت للأهالي أرباحًا طائلة.[01]

مارس الإنسان تجارة الرقيق منذ أقدم العصور، ولم تتوقف هذه التجارة غير الإنسانية إلا مع مطلع القرن التاسع عشر، حيث اتفقت الدول الأوروبية في مؤتمر فيينا حزيران 1815م على إلغائها ، وقد عرف العرب هذه التجارة كسائر الأمم ، وكانوا يستقدمون الرقيق من جهات مختلفة من العالم ، وقد ساهمت القوافل التجارية الصحراوية في نقل الرقيق الأسود من أواسط إفريقيا ، حيث كان معظمهم يوجَّه إلى الدولة العثمانية أو أوروبا .[02]

شكّلت تجارة الرقيق إحدى أبرز الظواهر الاقتصادية والاجتماعية في إفريقيا خلال العصر الحديث ، وقد ارتبطت بدايات هذه التجارة ارتباطًا وثيقًا بحركة الكشوف الجغرافية الأوروبية ، إذ كان البرتغاليون أول من مارسها بشكل منظم على السواحل الغربية لإفريقيا ، ثم لحقت بهم لاحقًا دول أوروبية أخرى مثل بريطانيا وفرنسا وغيرها ، أما في ما يتعلق بطرابلس الغرب وبلدان ما وراء الصحراء ، فإن هذه التجارة شهدت أوج ازدهارها في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ومن أهم السلع الرئيسة في تجارة القوافل ، وكانت أسواق مصر والدولة العثمانية ، ولا سيما أزمير واليونان ، من أبرز الوجهات التي استوعبت

(1) خليفة إبراهيم ضو ، تجارة الرقيق في ولاية طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة سبها ، 2009 ، ص12.

(2) تيسير بن موسى ، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني . االدار العربية للكتاب ، ليبيا ، 1988 ،ص186_188 .

هذه التجارة ، وقد مثلت تجارة الرقيق مورداً مالياً ضخماً للسلطات المحلية في طرابلس الغرب. [03]

تعددت طرق جلب الرقيق ، حيث كان يتم الحصول عليهم أما عن طريق الشراء والمقايضة أو بالحملات المخصصة لأسر الأفراد التي تعددت أساليبها تبعاً لطبيعة وتخطيط صيادي الرقيق ، أو افتعال الحروب بين الأقاليم والقبائل الأفريقية ، وقد تم تصنيف الرقيق بحسب المهن والواجبات التي يتميز بها الرقيق ، وكان أكثر الرقيق المرغوب جلبه هم صغار السن الذين تتراوح أعمارهم ما بين الثلاث أعوام والثلاثين عام ، وأحياناً يكونون أطفالاً رضعاً بصحبة أمهاتهم ، وكانت الإناث من الرقيق أكثر طلبا في الشراء لعدة أسباب منها :

1- أنهن مرغوبات أكثر من الذكور خاصة فيما يتعلق بخدمة المنازل.

2- - أنهن مرغوبات من قبل التجار للتسري بهن ، أي من أجل إشباع الحاجات الشخصية والإجتماعية ، وهذا أدى إلى ارتفاع الطلب على الرقيق الأناث في الأسواق ، لأن إمتلاك الجارية كان يجمع بين المنفعة الاقتصادية والمنفعة الشخصية .

3- أن أسعار إعادة بيعهن في أغلب الأحيان مرتفعة عن الذكور.

4- أنهن أكثر صبراً وتحملا من الرقيق الذكور خاصة أثناء رحلة الجلب . [04]

ثانياً : مراكز تجارة الرقيق

شكّلت أسواق الرقيق في إيالة طرابلس الغرب إحدى الركائز الأساسية في النشاط التجاري الصحراوي خلال القرن التاسع عشر، حيث مثّلت مدينة مرزق السوق الأهم في إقليم فزّان ، إذ كانت بمثابة مركز لتجميع الرقيق القادمين من بلاد السودان الأوسط والغربي قبل إعادة توزيعهم نحو طرابلس أو برقة أو حتى مصر ، كما برزت غدامس وغات كمحطات تجارية رئيسية تُعرض فيها أعداد من الرقيق وتُهيأ للقوافل الكبرى المتجهة شمالاً ، أما طرابلس الغرب فقد مثّلت السوق النهائية والأكثر نشاطاً، حيث تصل إليها القوافل المحملة بالرقيق ليُعاد تصديرهم عبر البحر المتوسط إلى الأسواق الأوروبية ، مما جعلها حلقة وصل بين تجارة القوافل الصحراوية والتجارة المتوسطية . [05]

وشهدت مدينة طرابلس الغرب تنظيم تجارة الرقيق في عدة أسواق متخصصة ، من أبرزها سوق الرقيق والنخاسة ، ومن أشهر أسواق الرقيق سوق الربع (الرباع) وسوق الحلقة

(1) أبو بكر سالم المهدي الشيباني ، مدينة مرزق ودورها في تجارة العبور الصحراوية ، مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية ، ليبيا ، المجلد 20 ، العدد 3 ، 2021 ، ص133 .

(2) المبروك محمود صالح سليمان ، التجارة البحرية لأقليم برقة خلال العهدالعثماني الثاني (1835 _ 1912م) ، كلية الآداب ، جامعة عمر المختار ، ليبيا، 2015 ، ص121 .

(3) جيمس ريتشاردسن ، ترحال في الصحراء ، ترجمة : الهادي مصطفى أبو لقمة ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1993 ، ص366 .

كمراكـز إضـافية لتـداول الرقيـق ، كـان الرقيـق يُعـرض فـي هـذه الأسـواق تحـت إشـراف الـدلال ، الذي يتولى المناداة على العبد أو الأمة . [06] ، وأبرز هذه المراكز :

1_ مرزق :

هـي العاصـمة التقليديـة لفـزان وأهـم مركـز داخلـي لتجـارة الرقيـق ، حيـث تسـتقبل القوافـل القادمـة مـن بورنـو وبـلاد السـودان الأوسـط [07] ، اعتُبـرت مـرزق مـن أهـم الأسـواق فـي إقلـيم فزّان ، ومنها يُوزَّع الرقيق نحو طرابلس أو برقة أو حتى مصر . [08]

كانـت مـرزق تُعـدّ مركـزًا رئيسيًا لتجـارة الرقيـق ضـمن ولايـة طـرابلس الغـرب ، حيـث كانـت القوافـل القادمـة مـن بورنـو تتوقـف فيهـا لتبـادل الرقيـق بالبضـائع التـي يجلبهـا تجـار طـرابلس ، ويقضـي الطرابلسـيون فـي مـرزق مـدة تتـراوح بـين ثلاثـة إلـى أربعـة أشـهر لإتمـام عمليـات المتاجرة قبل العودة إلى موطنهم بالشمال مع حلول الربيع . [09]

تُعـدّ مـرزق مـن أهـم الأسـواق الصـحراوية لتجـارة الرقيـق فـي شـمال إفريقيـا خـلال القـرن التاسـع عشـر ، وكانـت تمثـل نقطـة مركزيـة لتزويـد طـرابلس بالـدخل والخـدمات المرتبطـة بهـذه التجـارة ، كـان معظـم الرقيـق الـذين يُتـاجر بهـم فـي مـرزق مـن الأسـرى أو الـذين يُحصَّـل علـيهم عبـر الغـارات والصـيد ، ويـأتون غالبًـا مـن منـاطق حـوض تشـاد وبرنـو ، حيـث كـان برنـو المصـدر الـرئيس الـذي يـزود مـرزق بـالرقيق ، وكانـت القوافـل التجاريـة التـي تـربط مـرزق بـالمراكز الأخـرى تنطلـق عـادةً خـلال موسـم الجفـاف مـن تشـرين الأول إلـى آذار لتفـادي الأمطـار الموسـمية فـي السـودان ، وكـان الطـوارق [010] والتبـو يشـرفون علـى حمايـة القوافـل ؛ فـالطوارق يحرسـون القوافل الكبيرة القادمة من كانو ، بينما يتولى التبو حماية القوافل الوافدة من برنو ووداي. [011]

---

(4) وليد شعيب آدم ، تجارة الرقيق عبر صحراء إيالة طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر ، دار الكتب الوطنية ، ليبيا ، 2021 ، ص87 _ 89 .

(1)James Richardson , Travels in the Great Desert of Sahara in the years of 1845_1846 . vols. I.II , Richard Bentley , London , 1848 , p.163_164.

(2)Gerhard Rohlfs , Von Tripolis nach Alexandrien , Ester Band , Kuhtmann's Buchhundlung , Bremen , 1871 , p.79 .

(3) إبراهيم خليفة ضو ، المصدر السابق ، ص69_70 .

(4) **الطوارق :** هم قبائل صحراوية تنتمي في أصلها إلى البربر الصنهاجيين ، وتستوطن مناطق واسعة من الصحراء الكبرى ، وتمتد من أزواد شمالي مالي وشمال النيجر إلى الهقار جنوب شرق الجزائر ومنطقة الأزقر جنوب غربي ليبيا ، وعرفت هذه القبائل تاريخياً باسم الملثمين لإلتزام رجالها عادة التلثيم ، وتميزت بنمط عيش صحراوي قائم على الترحال والرعي والتجارة الصحراوية ، وأختلف المؤرخون في أصل تسميتهم إذ لا يوجد رأي حاسم حول الجذر اللغوي لكلمة الطوارق ، فمنهم من يرجع تسميتها إلى طارق بن زياد غير إن هذا الرأي غير دقيق من الناحية التاريخية حيث وجود هذه القبائل يرجع على الأرجح إلى فترات سبقت العصر الإسلامي مما يستبعد إرتباط التسمية بشخصية تاريخية ظهرت في زمن لاحق ، وبعضهم رأى بإن هذا الإسم مشتق من طرقهم للصحراء وتوغلها في مسالكها ، غير أن استعمالها شاع في العصور الحديثة للدلالة على هذه المجموعات الصحراوية ذات الخصوصية الثقافية والإجتماعية . للمزيد أنظر إلى : أحمد رجب فرج ، دور طوارق الأزقر الليبية في الصراع العثماني الفرنسي في الصحراء الكبرى (1858 _ 1911م) . أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، مصر ، 2018 ، ص1_2 .

(5) رجب نصير الأبيض ، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر دراسة في التاريخ السياسي والإقتصادي . مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ليبيا ، 1998 ، ص255_256.

ومن أبرز أصناف الرقيق المطلوبة في مرزق النساء الصغيرات اللاتي يُستخدمن في الخدمة المنزلية ، وبعد وصول الرقيق إلى مرزق ، يُعاد تصدير معظمهم إلى طرابلس ثم إلى مناطق أخرى في شمال إفريقيا وشرقي البحر المتوسط ، فيما يباع جزء قليل في الأسواق المحلية. (12)

2_ **غدامس :**

مثّلت مدينة غدامس إحدى المحطات الرئيسية في شبكة تجارة الرقيق بإيالة طرابلس الغرب خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، فإلى جانب كونها مركزًا تجاريًا مهمًا وملتقى للقوافل القادمة من بلاد السودان ، لعبت دور الوسيط في نقل الرقيق شمالًا نحو طرابلس أو غربًا نحو الجزائر . (13)

ولكن رغم المكانة التجارية البارزة التي احتلتها مدينة غدامس في شبكة القوافل الصحراوية بين بلاد السودان وطرابلس الغرب ، فإنّ دورها في تجارة الرقيق ظلّ محدودًا مقارنةً بمراكز أخرى كمرزق أو غات ، إلا أنّ التجار الغدامسيين لم يعتبروا الرقيق سلعة رئيسية في نشاطهم الاقتصادي ، بل كانوا يتجنبون الاتجار به لما يترتب عليه من خسائر نتيجة المرض أو الهرب أو ارتفاع تكاليف الإعاشة ، فضلًا عن الاعتبارات الشرعية التي قيّدت مشروعية الرق ، واقتصر تعاملهم مع هذه التجارة في حالات الضرورة ، مثل مرافقة القوافل ، يمكن القول إنّ غدامس لعبت دورًا ثانويًا في تجارة الرقيق ، إذ مرّت بها بعض القوافل الحاملة لهذه السلعة بحكم موقعها الجغرافي ، دون أن تكون مركزًا رئيسيًا لتجمعها أو توزيعها كما هو الحال في مرزق. (14)

3_ غات: تعد غات محطة مهمة للقوافل التجارية الوافدة من غدامس لتصل إلى السودان الأوسط والغربي ، وقد اعتُبرت أولى محطات الاستراحة للتجار القادمين من تلك المناطق ، إذ يمكن منها متابعة السير باتجاه فزّان أو العودة إلى غدامس ، كما ارتبطت غات بطريق توات الذي يصل إلى السودان الغربي ، الأمر الذي زاد من أهميتها التجارية. (15)

4_ طرابلس :شكّلت طرابلس العاصمة والمصب النهائي لشبكة تجارة الرقيق في الإيالة ، حيث كانت القوافل القادمة من فزان وغدامس وغات تنتهي عند أسواقها ، وفي هذه المدينة الساحلية كان الرقيق يُعرضون للبيع محليًا لتلبية احتياجات السكان من اليد العاملة في الزراعة والخدمة ، كما يُعاد تصديرهم عبر الميناء إلى أسواق البحر المتوسط مثل مالطا وتونس ومصر وأحيانًا إسطنبول ، وهكذا لعبت طرابلس دورًا محوريًا في ربط تجارة القوافل الصحراوية بالأسواق المتوسطية ، لتصبح الحلقة الأخيرة بين الداخل الإفريقي وشبكات التجارة العالمية . (16)

---

(1) رجب نصير الأبيض ، المصدر السابق ، ص257_258 .

(2) James Richardson , op.cit , p.168 .

(3) بشير قاسم يوشع ، مدينة غدامس عبر العصور . المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، ليبيا ، 2010 ، ص54_55 .

(4) إبراهيم خليفة ضو ، المصدر السابق ، ص42 .

(5) James Richardson , op.cit, p.170.

إلـى جانـب المراكـز الرئيسـة لتجـارة الرقيـق فـي إيالـة طـرابلس الغـرب وجـدت مجموعـة مـن المحطـات والأسـواق الثانويـة وأمـاكن أخـرى سـاهمت بـدور ثـانوي فـي إسـتمرار هـذه التجـارة ، ومنهـا زويلـة كانـت مـن أقـدم مـدن فـزان ، واسـتُخدمت كمحطـة اسـتقبال وتحويـل للقوافـل القادمـة مـن الجنـوب فـي طريقهـا إلـى مـرزق ، كمـا كانـت سـبها [17] محطـة فرعيـة مهمـة لتجميـع الرقيـق قبـل نقلهـم شـمالًا، وإن ظلـت أهميتهـا أقـل مـن مـرزق ، أمـا زلتـه الواقعـة علـى الطريـق بـين فـزان والسـاحل ،وهكـذا يتضـح أن تجـارة الرقيـق فـي الإيالـة لـم تكـن مقتصـرة علـى المراكـز الكبـرى ، بـل اعتمـدت علـى شـبكة مـن الأسـواق والمحطـات الفرعيـة التـي ضـمنت اسـتمرار تـدفق الرقيـق عبـر طرق متعددة . [18]

خريطة رقم (1)

توضح طرق تجارة الرقيق في ولاية طرابلس الغرب [19]

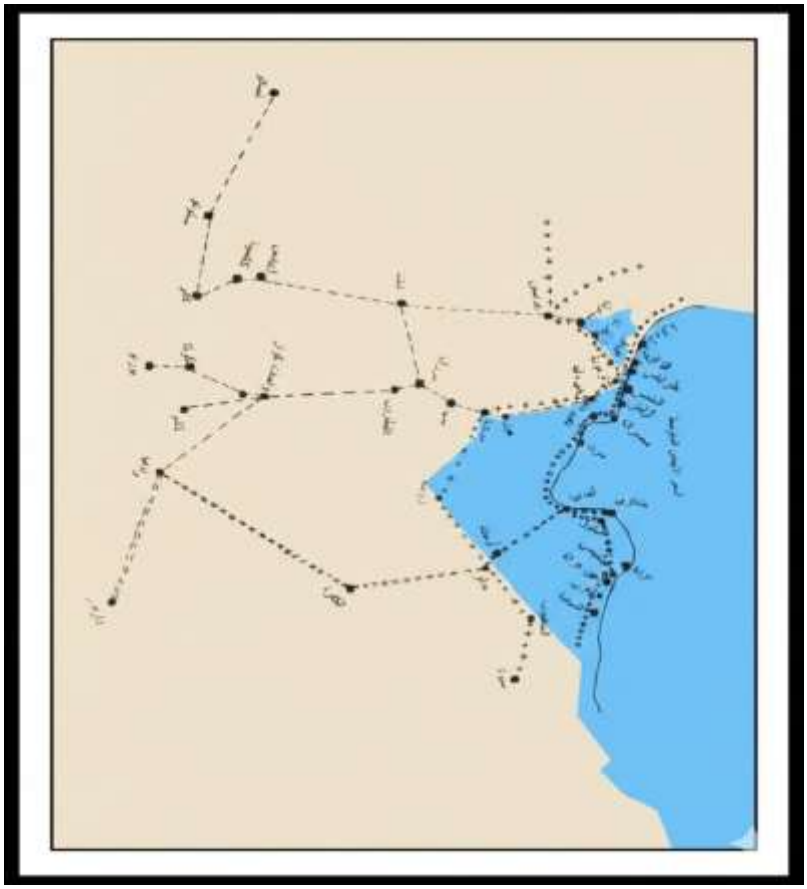

ثالثاً : الموقف الدولي من تجارة الرقيق

(1) **سبها :** إحدى مدن فزان وتقع في جنوب شرق طرابلس بنحو 970كم على طريق مصراته . للمزيد أنظر إلى : الطاهر أحمد الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، مكتبة النور ، ليبيا ، 1968 ، ص182 .

(2) James Richardson , op.cit , p.163_170.

(3) أنعـام محمـد سـالم شـرف الـدين ، مـدخل إلـى تـاريخ طـرابلس الاجتمـاعي والإقتصـادي دراسـة فـي مؤسسـات المدينـة التجاريـة (1711_1835) . منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، سلسلة الدراسات التاريخية رقم (27) ، طرابلس ، 1998 ، ص63 .

شهدت إيالة طرابلس الغرب خلال منتصف القرن السادس عشر تأسيس البحرية الطرابلسية على يد درغوت باشا ، الذي تولى السلطة في نهاية آذار 1553م ، بعد أن أقنع السلطان العثماني بقدرته على إدارة شؤون الإيالة ومواجهة الاعتداءات الأوروبية فور استلامه الإيالة ، بدأ درغوت باشا بتحصين الأبراج والأسوار وإنشاء دار صناعة البارود ، كما أسس أسطولًا بحريًا قويًا أصبح مصدر رهبة للدول الأوروبية في البحر المتوسط ، خصوصًا الإسبان والدويلات الإيطالية وفرسان القديس يوحنا [20]() ، كانت هذه القوة البحرية الطرابلسية بمثابة رادع للاستيلاء على المدن الساحلية ، حيث تمكن درغوت من السيطرة على المهدية والقيروان وصفاقس ، كما شن هجمات بحرية على نابولي وسواحل توسكانيا وليفوريا ، وأسر العديد من السفن الأوروبية ، وقد اعتبر الأوروبيون هذه الأعمال قرصنة ، بينما كانت بالنسبة للمسلمين (جهادًا بحريًا) ، وهو رد على القرصنة الأوروبية التي سبقتهم وألحقت ضررًا كبيرًا بالتجارة البحرية الإسلامية ، استمرت محاولات الأوروبيين لإعادة السيطرة على طرابلس ، أبرزها هجوم فيليب الثاني على شمال أفريقيا عام 1560م ، حيث أرسل 52 سفينة تحمل 12 ألف جندي ، لكنها فشلت في مواجهة الأسطول الطرابلسي بقيادة درغوت باشا [21]() .

اعتُبرت الهجمات البحرية على السفن الأوروبية من قبل القوى الغربية أعمال قرصنة ، في حين كانت تُعتبر في شمال إفريقيا عملاً مشروعاً وجهاداً بحرياً ضمن ما يعرف بـ(الحرب غير المعلنة) . [22]()

بينما ظلّت طرابلس مركزاً لإعادة تصدير البضائع الأوروبية إلى عمق أفريقيا، ولاسيما إلى مملكة بورنو، كما كان يوسف باشا القرمانلي يسيّر قافلتين سنوياً إلى فزان يعود منها بالذهب والعقاقير والرقيق ، وقد عُرفت طرابلس منذ القرن السادس عشر بوجود سوق رائجة لتجارة الرقيق ، سواء من الزنوج الأفارقة أو الأسرى المسيحيين وغالبيتهم من الإيطاليين ، ولكنهم كانوا يحررون عند اعتناقهم الإسلام ، بل أصبح أكثرهم ضباطاً كباراً في الدولة ، وبلغ عدد الأسرى نتيجة عمليات القرصنة (2000) أسير وأموال تقدر بالملايين وقد شكّلت تجارة الرقيق في الإيالة قضية دولية بارزة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، إذ ارتبطت بمصالح اقتصادية وتجارية من جهة ، وبالخطاب الإنساني الأوروبي المناهض للعبودية من جهة أخرى ، مع مطلع القرن التاسع عشر، وبعد إلغاء بريطانيا لتجارة الرقيق عام 1807م ،

(1) **يوحنا :** هم جماعة دينية عسكرية تأسست في القرن الحادي عشر أثناء الحروب الصليبية في بيت المقدس بهدف خدمة الحجاج المسيحيين ومساعدة الفقراء ، ثم تحوّل نشاطها إلى الدفاع العسكري والمشاركة في الحروب الصليبية ،وكان الامبراطور شارل الخامس امبراطور الإمبراطورية الرومانية ، وقد تنازل عن إيالة طرابلس الغرب لفرسان القديس يوحنا في عام 1530م وهم أشد حقداً على المسلمين الأسبان ، وبعد سقوط بيت المقدس ، لجأوا إلى عكا ثم إلى جزيرة رودس ، حيث مارسوا نشاطاً بحرياً اتسم = بالقرصنة على السفن الإسلامية ، مما دفع الدولة العثمانية لإرسال حملات للقضاء عليهم ، آخرها حملة السلطان سليمان القانوني (1523م) لاحقاً حصلوا على جزيرتي مالطة وقوزو من الإمبراطور شارل الخامس ، مع التزامهم بحماية مدينة طرابلس والدفاع عنها ضد أعدائها. للمزيد أنظر إلى : عمر علي بن إسماعيل ، إنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795_1835. مكتبة الفرجاني ، ليبيا ، 1966 ، ص20_21 .

(2) إبراهيم خليفة ضو ، المصدر السابق ،ص99 .

(3) المصدر نفسه ، ص103_104 .

أصـبحت هـذه القضـية فـي صـلب السياسـة البريطانيـة تجـاه شـمال إفريقيـا ، فمارسـت ضـغوطًا سياسـية ودبلوماسـية علـى يوسـف باشـا القرمـانلي ، وأوفـدت قناصـلها إلـى طـرابلس لمراقبـة الأسـواق ومتابعـة السـفن الخارجـة مـن المـوانئ ، وألزمـت الإيالـة بتوقيـع اتفاقيـات تقضـي بتقييـد أو منـع هـذه التجـارة ، ومـن أبـرز هـذه الاتفاقيـات تلـك التـي عُقـدت فـي العقـدين الثـاني والثالـث مـن القـرن التاسـع عشـر، والتـي نصّـت علـى التـزام الإيالـة بعـدم السـماح بتصـدير الرقيـق عبـر البحـر مقابل حصولها على بعض التنازلات التجارية والسياسية .[23]

بعـد سـقوط نـابليون ، أصـبحت مسـألة اسـترقاق المسـيحيين فـي إيالـة طـرابلس الغـرب قضـية محوريـة فـي المناقشـات الأوروبيـة ، بـادرت بريطانيـا بطـرح هـذه المسـألة خـلال مـؤتمر فيينـا 1815م ، حيـث دعـا الأميـرال سـيدني سـميت إلـى وقـف اسـترقاق المسـيحيين فـي شـمال أفريقيـا ، ورغـم صـدور قـرار المـؤتمر بإلغـاء الاسـترقاق ، إلا إن موقـف بريطانيـا العملـي اتسـم بـالتردد حفاظًـا علـى مصـالحها فـي البحـر المتوسـط ، غيـر أن تـدخلها العسـكري لاحقًـا ، عبـر حملـة اللـورد إكسـموث عـام 1816م ، أجبـر يوسـف باشـا القرمـانلي علـى التعهـد بعـدم اسـترقاق المسـيحيين وإطـلاق سـراح الأسـرى الأوروبيـين ، امـا فرنسـا فقـد أبـدت منـذ البدايـة رغبـة حقيقيـة فـي تنفيـذ قـرارات مـؤتمر فيينـا المتعلقـة بإلغـاء الـرق ، ودعمـت القـرارات الأوروبيـة الخاصـة بمنـع اسـترقاق المسـيحيين، ممـا أدى إلـى تـوتر علاقاتهـا مـع بريطانيـا ، كمـا سـاهم حضـور منـدوبها تـاليران فـي المـؤتمر فـي تعزيـز موقفهـا الـداعم لإلغـاء الـرق ، مسـتغلة القضـية لتوسـيع نفوذهـا السياسـي والبحري في البحر المتوسط .[24]

ولا سـيما بعـد احـتلال الجزائـر عـام 1830م ، كمـا لعبـت الجمعيـات المناهضـة للرقيـق فـي بريطانيـا دورًا محوريًـا فـي إثـارة القضـية ، حيـث نشـرت تقـارير متكـررة عـن أسـواق طـرابلس ومـرزق وغـدامس ، وقـدمتها للـرأي العـام الأوروبـي كـدليل علـى (وحشـية الشـرق) و(ضـرورة التـدخل الحضـاري) ، وقـد اسـتُخدم هـذا البعـد الأخلاقـي كذريعـة لتبريـر التـدخل الاسـتعماري ، وفـي هـذا السـياق ، أصـبح ملـف تجـارة الرقيـق جـزءًا مـن السياسـة الدوليـة فـي المتوسـط ، إذ اسـتخدمته القـوى الاسـتعمارية الكبـرى ، خاصـة بريطانيـا وإيطاليـا لاحقًـا ، كوسـيلة لإضـعاف اسـتقلال الإيالـة القرمانلية والتغلغل في شؤونها الداخلية ، تمهيدًا لفرض النفوذ الاستعماري المباشر.[25]

كـان اهتمـام الولايـات المتحـدة بتجـارة الرقيـق فـي طـرابلس الغـرب مرتبطًـا أساسًـا بمسـألة القرصـنة البحريـة أكثـر مـن ارتباطـه بالجانـب الإنسـاني أو الأخلاقـي ، وسـعت أمريكـا إلـى حمايـة تجارتهـا البحريـة فـي البحـر المتوسـط مـن الأسـاطيل القرصـانية التابعـة لولايـات المغـرب الـثلاث (طـرابلس، تـونس، الجزائـر)، التـي كانـت تفـرض إتـاوات علـى السـفن الأجنبيـة مقابـل السـماح لهـا بالإبحـار بأمـان ، ورفضـت الولايـات المتحـدة فـي عهـد الـرئيس تومـاس جفرسـون الاسـتمرار فـي دفـع الجزيـة ، ممـا أدى إلـى انـدلاع الحـرب بـين طـرابلس وأمريكـا (1801–1805م) ، وهـذا يعنـي إن النـزاع لـم يكـن حربًـا ضـد تجـارة الرقيـق مباشـرة ، بـل ضـد نظـام القرصـنة الـذي كـان يُعـدّ جـزءًا مـن النشـاط الاقتصـادي الطرابلسـي المـرتبط بتجـارة الرقيـق ، وبعـد انتهـاء الحـرب بتوقيـع معاهـدة 1805م بـين الطـرفين ، تعهّـدت طـرابلس بعـدم الاعتـداء علـى السـفن

(1) وليد شعيب آدم ، المصدر السابق ، ص178 _ 185 .

(2) عمر علي بن إسماعيل ، إنهيار حكم الأسرة القرمانلية في ليبيا 1795_1835. مكتبة الفرجاني ، ليبيا ، 1966 ، ص144 _ 146 .

(3) وليد شعيب آدم ، المصدر السابق ، ص186 _ 199 .

الأمريكية ، في حين التزمت الولايات المتحدة بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للإيالة ، ومع ذلك فقد ظلّت المواقف الأمريكية فاترة تجاه تجارة الرقيق الإفريقية ، إذ لم تكن واشنطن آنذاك قد ألغت بعد نظام الرق داخل أراضيها ، ومع تصاعد الضغط البريطاني والدولي ضد تجارة الرقيق ، اتبعت الولايات المتحدة سياسة الحياد تجاه ما يجري في شمال إفريقيا، معتبرة أن أي تدخل مباشر في طرابلس قد يجرّها إلى نزاع مع السلطان العثماني ، إذن فإن موقف الولايات المتحدة الأمريكية من تجارة الرقيق في طرابلس الغرب حتى عام 1835 لم يكن موقفًا إنسانيًا أو تحريميًا ، بل كان موقفًا سياسيًا–بحريًا يهدف لحماية الملاحة الأمريكية من القرصنة ، ولم تتدخل واشنطن في نشاط تجارة الرقيق الإفريقي مطلقًا خلال تلك الفترة ، كما لم تُعارضها رسميًا، مما يجعل موقفها محايدًا ومتساهلًا تجاه تجارة الرقيق في الإيالة. (26)

أما موقف النمسا فقد أبدت تحفظاً واضحاً تجاه مقترح إنشاء أسطول دولي لمكافحة الرق في البحر المتوسط ، وبررت موقفها بأن استخدام القوة ضد إيالات شمال أفريقيا يجب أن يصدر عن الدولة العثمانية صاحبة السيادة الاسمية عليها ، إلا أن السبب الحقيقي كان خشيتها من سيطرة إنجلترا على قيادة أي أسطول مشترك، مما يهدد التوازن السياسي في أوروبا ، وبالتالي تعاملت النمسا مع مسألة الرق من زاوية سياسية أكثر من كونها إنسانية ، أما روسيا فقد ضمت موقفها إلى موقف النمسا، فرفضت فكرة الأسطول الدولي بحجة احترام سيادة الدولة العثمانية ، لكنها في العمق لم تكن معنية كثيراً بمسألة الرق في شمال أفريقيا ، فقد كان اهتمامها موجهاً بالأساس إلى البحر الأسود والبلقان ، ولذلك لم تلعب دوراً بارزاً في هذه القضية إلا ضمن الموقف الجماعي للقوى الأوروبية في المؤتمرات ، ولم تختلف بروسيا عن النمسا وروسيا ، إذ وقفت بدورها ضد مشروع إنجلترا الخاص بإنشاء أسطول دولي لمحاربة القرصنة والرق ، وجاء هذا الموقف متسقاً مع سياستها المحافظة التي هدفت إلى منع أي دولة أوروبية من الانفراد بقيادة المتوسط ، وبالتالي كان موقفها أقرب إلى التحفظ السياسي منه إلى الالتزام الأخلاقي بمسألة إلغاء الرق . (27)

رابعاً : الآثار الاجتماعية لتجارة الرقيق

ولدت تجارة الرقيق نتائج اجتماعية وثقافية عميقة ، فقد صاحبها العديد من المآسي والأحزان خلال صراعات القبائل الأفريقية ، وأدت إلى وقوع الأسرى وبيعهم لتجار الرقيق ، مما أفرغ القارة من عناصرها القادرة على الإنتاج ، ومع ذلك ، فإن الرقيق الذين استقروا أو حصلوا على حريتهم بالإعتاق جلبوا معهم عاداتهم وتقاليدهم وثقافتهم وتراثهم من مناطق مختلفة ، فانتقلت هذه الموروثات إلى المدن التي عاشوا فيها مثل مرزق ، تاورغاء ، كاباو ، وغدامس ، لتصبح جزءًا من النسيج الاجتماعي والثقافي المحلي (28) ، ومن أهم هذه الآثار هي :

1. تأثر الفن والوشم بشكل واضح بوجود الرقيق ، إذ نقلوا معهم من الدواخل الإفريقية تقاليدهم الفنية التي أثرت في المجتمع المحلي ، فقد كانت الفتيات الصغيرات تُوشم

(1) إبراهيم خليفة ضو ، المصدر السابق ، ص114_116 .

(2) عمر علي بن إسماعيل ، المصدر السابق ، ص148 .

(3) عبد الصمد عبد القادر عبد الصمد ، المصدر السابق ، ص271 .

بأشـكال ورمـوز مرتبطـة بالمعتقـدات الإفريقيـة ، مثـل رسـم الأسـد الـذي كـان يرمـز للبطولـة والقـوة ، كمـا كـان العديـد مـن الجـواري السـود يحملـن أوشـامًا علـى وجـوههن قبل وصولهن ، مما يدل على انتقال هذه الممارسات من إفريقيا إلى الإيالة. [29]

2. تـأثرت الموسـيقى فـي الإيالـة بشـكل كبيـر بوجـود الرقيـق ، الـذين جلبـوا معهـم حـبهم للموسـيقى والـرقص مـن الـدواخل الإفريقيـة ، فقـد عـرف الرقيـق عبـر العصـور بقـدرتهم علـى الغنـاء والعـزف ، وكانـت الجـواري السـود يتـولين أداء الأغـاني والموسـيقى فـي المناسـبات والأفـراح ، بينمـا كـان الرقيـق الـذكور يعزفـون علـى الطبـول ويـؤدون الرقصـات التـي تعلموهـا فـي بلـدانهم الأصـلية ، وقـد تطـورت ألحـان مثـل فـن المرسـكاوي فـي مدينـة مـرزق نتيجـة المـزج بـين الألحـان المحليـة والإفريقيـة ومـن خلال هذه الموسيقى ظهر نوع من الفرق الغنائية النسائية مثل فرق الزمزامات.

3. سـاهم الرقيـق فـي إثـراء الحيـاة الشـعبية فـي إيالـة طـرابلس الغـرب مـن خـلال الألعـاب والعـروض الفنيـة التقليديـة ، حيـث انعكـس تـأثيرهم الإفريقـي علـى فنـون القراقـوز وخيـال الظـل ، التـي كانـت تتنـاول شخصـيات الرقيـق بأشـكال متنوعـة ، أحيانًـا فـي صـور تُظهـرهم بالغبـاء والكسـل والخمـول ، وأحيانًـا أخـرى يظهـرون بالنشـاط والوفـاء والإخـلاص لأسـيادهم ، ومـن أبـرز الشخصـيات التـي جسـدت هـذا التـأثير شخصـية بوسـعدية ، وهـو أحـد الرقيـق الزنـوج الـذي اشـتهر بممارسـته الألعـاب البهلوانية والعروض الحركية مع ابنته سعدية . [30]

4. وفـي مجـال الملابـس والأطعمـة ، كـان لتـأثير الرقيـق أثـر واضـح ، علـى الـرغم مـن أن الـروابط التاريخيـة بـين إيالـة طـرابلس الغـرب والـدواخل الإفريقيـة سـاهمت أيضًـا فـي نقـل أنمـاط الحيـاة بـين الشـمال الإفريقـي وأفريقيـا جنـوب الصـحراء ، وقـد لعبـت طائفـة الرقيـق المسـتقرة فـي المجتمـع المحلـي دورًا مهمًـا فـي نقـل العديـد مـن الأطعمـة والملابـس ، إذ كـان أغلـب مـن يقـوم بصـناعة الملابـس والأطعمـة مـن الجـواري والعبيـد ، أمـا فـي مجـال الملابـس، فـإن ارتـداء الملابـس الإفريقيـة كـان ظـاهرة ملازمـة لتجـارة الرقيـق، وانتشـرت هـذه الملابـس فـي الواحـات الصـحراوية مثـل غـدامس ، كمـا اشـتهرت بعـض القـرى التـي يقـيم فيهـا العبيـد بصـناعة الملابـس والقبعـات الملونـة ، وكـان للرقيـق تـأثير واضـح أيضًـا فـي الحـرف الصـناعية الصـغيرة ، حيـث امـتهن أغلـبهم تصـنيع السـلال والأطبـاق مـن السـعف ، والحصـير والمفروشـات ، لا سـيما فـي منطقـة تاورغـا التـي كانـت تقطنهـا أغلبيـة مـن العبيـد السـود المحـررين، كمـا بـرزت بعض المناطق في تصنيع الحلي من الخرز والعقيق . [31]

5. لقـد كانـت اللغـة واللهجـة المحليـة فـي إيالـة طـرابلس الغـرب مـن أبـرز الأنمـاط الاجتماعيـة التـي تـأثرت بتـأثيرات تجـارة الرقيـق ، إذ كـان العديـد مـن الرقيـق يجهلـون اللغـة العربيـة ، مـا جعـل التواصـل معهـم صـعبًا عنـد ضـياعهم عـن أصـحابهم ، فاضـطر

(1) صالح عثمان عبد الكريم أبو الخير ، تجارة الرقيق وتأثيرها على المجتمع الليبي ، مجلة الساتل العلمية المحكمة ، جامعة عمر المختار ، ليبيا ، العدد 34 ، حزيران 2023 ، ص42 .

(2) المصدر نفسه ، ص44 .

(3) المصدر نفسه ، ، ص45 .

السادة لتعليمهم بعض الكلمات العربية وفي المقابل تعلموا منهم بعض المفردات الإفريقية ، وقد انعكس ذلك بشكل واضح على لهجة السكان المحليين ، حتى أن لغات مثل الهوسا ولهجة كانو أصبحت مفهومة في بعض المناطق نتيجة كثرة الرقيق الذين نقلوا هذه اللهجات معهم ، وساهم الرقيق في دخول العديد من المرادفات والأسماء إلى اللهجة المحلية، مثل كلمة (يايو) التي تعني السيدة و(يايا) التي تعني السيد في لغة الهوسا ، كما تم تحريف الأسماء العربية وفق النطق الإفريقي، مثل: سالمة ← سلمتو ، عائشة ← عيشتو ، خديجة ← حديزة ، سارة ← زارا ، أمينة ← امينتا ، وللذكور: سليمان ← سولي ، عثمان ← عصمان ، موسى ← مسوكن ، واو ← مسو ، و كذلك دخلت بعض الأسماء من أصول إفريقية مباشرة مثل كندي ، كانو ، ياني ، فنا للإناث ، وناسامو، آدم ، جمبو ، كاشلا للذكور. [32]

6. . التأثير الأكثر وضوحًا لظاهرة الرقيق على المجتمع الليبي هو أثرها على الجنس والتركيب البيولوجي للسكان ، ورغم تنوع أصول سكان إيالة طرابلس الغرب ، حيث يوجد العرب ، الأتراك ، الأوروبيون ، البربر، وسكان الصحراء ، فإن دخول الجنس الإفريقي الأسود ترك أثرًا واضحًا في ملامح المجتمع ، ولا تزال آثاره جلية حتى اليوم ، فقد تسبب الاختلاط بين السكان المحليين والرقيق الأفارقة ، خصوصًا في مدن وواحات الصحراء الكبرى مثل أوجلة وسوكنة وغدامس ، في تغييرات كبيرة في الملامح العضوية للسكان ، وأنّ كثرة تداول الرقيق واندماجهم في المجتمع الليبي عبر التزاوج شكّل أحد الأسباب الرئيسية وراء التغيرات العضوية التي طرأت على تركيبته السكانية ، إذ غدت الملامح الإفريقية جزءًا مألوفًا بين الليبيين ، مثل البشرة السوداء الداكنة ، وطول القامة ، والشفاه الغليظة ، وعرض المنكبين وغيرها ، فقد تميزت بعض المناطق بأعرافها الخاصة في التعامل مع الرقيق، مثل الطوارق الذين عُرفوا بتركيبتهم الاجتماعية المعقدة ، فأبقوا الرقيق خارج البناء الاجتماعي، كان الرقيق يعيشون في قرى منفصلة، خصوصًا في إقليمي طرابلس وفزان ، حيث ظهرت تجمعات سكانية خاصة بهم في ضواحي طرابلس ومصراتة وسبها ومرزق، ولا يزال بعضها قائمًا حتى اليوم ، أما في واحات برقة الجنوبية، فقد عاشوا جنبًا إلى جنب مع العرب والتبو داخل الواحات والمدن . [33]

7. . أدّى انتشار الرقيق في المجتمع الليبي إلى نشوء طبقة اجتماعية جديدة عُرفت باسم الشواشنة ، وهم الأحرار المولودون من أمهات سودانيات ، وعلى الرغم من أنّ كثيرًا منهم وُلدوا لآباء أحرار، فإن مكانتهم الاجتماعية كانت أدنى من باقي الأحرار، ويظهر ذلك جليًا من طبيعة المهن التي اضطلعوا بها ، والتي تميزت

(1) صالح عثمان عبد الكريم أبو الخير ، المصدر السابق ، ص46.

(2) المصدر نفسه ، ص47 .

بالمشـقة والصـعوبة مثـل جلـب الميـاه ، وقطـع الحجـارة ، وتنظيـف المنـازل ، والعمـل الزراعي . [34]

إضـافةً إلـى فئـة العتـاري وهـم العبيـد الـذين أُعتقـوا ، وقـد مثلـت هـذه التصـنيفات مكونـات اجتماعية قائمة في تلك المناطق ، غير أنها فقدت قيمتها ومعناها في العصر الحاضر . [35]

وقـد تميـزت هـذه الطبقـة بـبعض الصـفات الجنسـية التـي اكتسـبتها نتيجـة لاخـتلاط الجـنس المحلـي العربـي والأمـازيغي مـع الجـنس الإفريقـي الوافـد ، وتتمثـل هـذه الصـفات والملامـح المميـزة فـي الوجـه المربـع الواسـع ، والأنـف القصـير المنـتظم مـع ارتفـاع العينـين قلـيلاً والضـخامة الجسـمانية ، ولا نسـتطيع أن نحـدد التـاريخ الـذي ظهـرت فيـه هـذه الفئـة الاجتماعيـة ؛ لأن وجود الجنس الأسود في شمال إفريقيا هو ظاهرة قديمة لا يمكن تحديدها بدقة . [36]

8. أسـفر تـزاوج الرقيـق مـع السـكان المحليـين عـن نشـوء جيـل مهجـن تميـزت ملامحـه بلـون البشـرة الحنطـي والأسـمر، وهـو مـا انتشـر بشـكل ملحـوظ فـي منـاطق الجنـوب الليبـي ، وقـد ظـل حضـور اللـون الأسـمر بـارزًا ، خاصـة لـدى المنحـدرين مـن بقايـا الرقيـق المعتَقـين الـذين شـكّلوا نسـبة معتبـرة داخـل المجتمـع ، ومـن ثـم ، فقـد أسـهمت تجـارة الرقيـق بشـكل غيـر مباشـر فـي مـزج الـدم الزنجـي مـع العناصـر المحليـة ، وأدت إلـى ظهـور أنمـاط جديـدة مـن الفنـون والعـادات والثقافـات التـي مـا كـان لهـا أن توجـد لـولا هـذه التجارة. [37]

9. . مـن أبـرز الآثـار الاجتماعيـة لظـاهرة الرقيـق علـى المجتمـع الليبـي مـا نـتج عنهـا مـن تفكـك أسـري ، إذ اعتـاد عـدد مـن تجـار الصـحراء الكبـرى الـزواج مـن بعـض الجـواري فـي المنـاطق الإفريقيـة ، وهـي عـادة عُرفـت بـين تجـار غـدامس ومـرزق وغـات وأوجلـة وجـالو ، إذ نقـل العبيـد معهـم بعـض العـادات والطقـوس الإفريقيـة التـي لـم تنسـجم مـع قـيم المجتمـع الليبـي وأعرافـه ، بـل كـان بعضـها يتعـارض مـع تعـاليم الـدين الإسـلامي ، مثـل طقـوس التعبّـد والـرقص أمـام النـار، وقـد أدى ذلـك إلـى انعـزال هـذه الفئـة داخـل المجتمـع ، فكـان لهـم أحيـاؤهم الخاصـة ، وحتـى مقـابرهم المسـتقلة ، إلـى جانـب ذلـك ، جلـب الرقيـق الوافـدون معهـم العديـد مـن الأمـراض والأوبئـة المنتشـرة فـي البيئـات الإفريقيـة ، والتي لم تكن مألوفة لدى السكان المحليين ، ومن أبرزها: 1. الكـــدوي: مـــرض معـــدٍ كان يصيب الرقيق .

2. الحجر: مرض يصيب الشفة العليا فيجعلها صلبة كالحجر .

3. مازا: داء غير محدد الأعراض ويصيب الرقيق .

4. القرينـة: مـرض يصـيب الرقيـق أو الجـواري ويـؤدي إلـى اضـطرابات جسـدية حـادة تنتهـي بالموت .

---

(1) صالح عثمان عبد الكريم أبو الخير ، المصدر السابق ، ص48 .

(2) هنريكو دي أغسطيني ، سكان ليبيا ، ترجمة خليفة محمد التليسي ، ط2 ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا _ تونس ، 1978 ، ص44 .

(3) صالح عثمان عبد الكريم أبو الخير ، المصدر السابق ، ص48 .

(4) عبد الصمد عبد القادر عبد الصمد ، الأوربيون وتجارة القوافل الصحراوية في ولاية طرابلس الغرب _ ليبيا _ في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة أم درمان الإسلامية ، السودان ، 2007 ، ص272 .

5. البوري: نوع من الجنون يصيب بعض الرقيق

كما ساهمت أوضاع الفقر والعوز التي عاشها الرقيق في انخراط بعضهم في ممارسات اجتماعية سلبية ، إذ تفشت بينهم الجرائم، ولا سيما السرقات بين أولئك الذين تخلّى عنهم أسيادهم ولم يجدوا من يعولهم ، وتكررت أيضًا جرائم القتل ، فضلاً عن انتشار الرذيلة بين بعض الجواري، وهو ما أثبتته سجلات المحاكم في طرابلس وغيرها . ()38

المبحث الثاني

تجارة الرقيق في ولاية الجزائر

أولاً : بداية التجارة بالرقيق في ولاية الجزائر

بدأت تجارة الرقيق في إيالة الجزائر منذ العصور الوسطى ، وازدهرت بصورة أوضح مع تطور الطرق التجارية العابرة للصحراء التي ربطت بلاد السودان الغربي بشمال إفريقيا ، فقد كانت الجزائر بحكم موقعها الجغرافي محطةً رئيسة في هذه الشبكة التجارية ، إذ شكّلت القوافل القادمة من تمبكتو وغاو وكانو عبر الصحراء الوسيط الأهم في نقل الرقيق من الداخل الإفريقي إلى مدن الساحل الشمالي ، وكان هؤلاء الرقيق يُجلَبون من مناطق السودان الغربي على أيدي التجار الطوارق الذين لعبوا دورًا أساسيًا في هذه التجارة ، حيث كانت القوافل تمر عبر توات وغدامس وصولًا إلى مدينة الجزائر ، ومع دخول الحكم العثماني عام 1518م وأستخدم الرقيق في المنزل والزراعة والورش والجيش والأسطول البحري ، كما نشطت الأسواق في مدن مثل الجزائر، وتلمسان ، وبسكرة ، حيث كانت تُعرض فيها أعداد من الرقيق القادمين من بلاد السودان . (39)

ارتبطت تجارة الرقيق في الإيالة بحركة القوافل التجارية العابرة للصحراء التي ربطت بين بلاد السودان الغربي وبلاد المغرب الأوسط ، إذ كانت القوافل تنقل الرقيق ضمن السلع القادمة من إفريقيا نحو مدن شمال إفريقيا، غير أنّ هناك ثلاث طرق رئيسية كانت تُستعمل لنقلهم إلى الشمال: **1.**الطريق الشرقي الذي ربط النيجر بطرابلس الغرب مرورًا بتاهرت وزويلة وفزان .

2. الطريق الأوسط عبر ورقلة وسجلماسة ()40 وصولًا إلى فاس .

3. والطريق الغربي الذي يمتد من تادماكت وموريتانيا الحالية نحو تونس وبجاية . ()41

---

(1) صالح عثمان عبد الكريم أبو الخير ، المصدر السابق ، ص49 _ 50 .

(2) James Richardson , op.cit , p.170_176

(3) **سجلماسة :** مدينة تقع في جنوب المغرب بالقرب من مدينة الريساني حالياً في مقاطعة تافلات إلى طرف الصحراء وتحيط بها الجبال على ارتفاع يتراوح مابين 500و1000 متر فوق سطح البحر قريبة من سلسلة الأطلس ، وتعد همزة وصل بين المدن الشمالية والجنوبية نظراً لموقعها الإستراتيجي الذي يربط بين الشمال والجنوب عبر مجموعة من الطرق . للمزيد أنظر إلى : سعدية بن سعيد و هجيرة رباحي ، مدينة سجلماسة ودورها في تجارة القوافل الصحراوية بين القرنين 2_9هـ /8_15م ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة الجيلالي بونعامة ، الجزائر ، 2016 ، ص8 .

(4) خديجة أوزيفي ، التفاعل الاجتماعي للعبيد السود بمدينة الجزائر في الفترة العثمانية (1552 _ 1830م) ، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا ، الجزائر ، المجلد 6 ، العدد 2 ، حزيران 2023 ، ص288 .

تعـود أصـول أغلـب الرقيـق فـي إيالـة الجزائـر إلـى منـاطق السـودان ، حيـث كـان تجـار الطـوارق يقومـون بشـرائهم مقابـل بضـائع محـددة ، مثـل الشواشـي والأحذيـة والأقمشـة الحريريـة ، وكـان عـدد الرقيـق الـذين يصـلون سـنويًا إلـى مدينـة الجزائـر يتـراوح بـين خمسـين ومائـة وخمسـمائة رقيقـاً ، وبعـد حملـة صـالح رايـس إلـى الجنـوب ، أصـبح عـدد الرقيـق الوافـدين إلـى الجزائـر سـنويًا حـوالي ثلاثـين رقيقـاً مـن ورقلـة وخمسـة عشـر مـن تـوفرت ، وفـق الاتفـاق المبـرم مـع شـيوخ تلـك المنـاطق ، وقـد اسـتمر هـذا الاتفـاق لفتـرة طويلـة ، إذ تشـير سـجلات بيـت المـال إلـى وصـول عـدد مـن هـؤلاء الرقيـق خـلال رمضـان عـام 1787م إلـى دار الإمـارة ، حيـث وُصِـفوا بــ(رقيق الهديـة) كمـا كـان معمـولًا بـه فـي العـادة السـابقة ، ويشـرف النـاظر علـى بيـت المـال علـى جميـع مراحـل بيـع الرقيق لضمان تنظيم العملية وإدارتها حسب النظام المعتمد. 42()

أمـا مـن حيـث التركيبـة الاجتماعيـة للرقيـق ، فقـد اختلفـت أهميـة العنصـر النسـوي مـن جماعـة إلـى أخـرى ؛ فبـرز بوجـه خـاص فـي العنصـرين القبـايلي والجيجلـي ، بينمـا انعـدم فـي جماعـة مزينـة ، ومـع ذلـك ، فـإن شـريحة الرقيـق فـي عمومهـا طغـى عليهـا العنصـر النسـوي ، وهـو مـا ارتـبط بحاجـات ومتطلبـات المجتمـع الجزائـري آنـذاك ، ففـي المـدة بـين عـامي (1807- 1817م) ، مـن مجمـوع 138 حالـة وفـاة لأصـحاب الرقيـق ، كانـت 113 امـرأة ، أي بنسـبة 81.89٪ ، أمـا فـي المـدة بـين عـامي (1817 – 1826م) ، فمـن مجمـوع 92 حالـة ، وُجـدت 57 حالـة نسـائية ، أي بنسـبة تقـارب 62٪ ، وتشـير هـذه المعطيـات إلـى أن النسـاء مـثّلن نحـو 70٪ مـن إجمـالي شـريحة الرقيق ، وهو ما يعكس هيمنة العنصر النسوي على هذه الفئة الاجتماعية. (43)

ومـع مطلـع القـرن التاسـع عشـر اسـتمر تـدفّق الرقيـق نحـو الجزائـر عبـر القوافـل التـي تجـوب الصـحراء ، وقـد قـدّر بعـض الرحّالـة الأوروبيـين أعـدادهم بـالآلاف سـنويًا ، حيـث بيعـوا فـي الأسـواق الصـحراوية واسـتُعملوا فـي الفلاحـة والرعـي وخدمـة المنـازل ، وظلـت تجـارة الرقيـق قائمـةً إلـى حـدود الربـع الأول مـن القـرن التاسـع عشـر نحـو عـام 1835م ، حـين بـدأت الضـغوط الأوروبيـة ، ولا سـيّما البريطانيـة والفرنسـية ، تتصـاعد لإلغائهـا ، ومـع ذلـك بقيـت المنـاطق الداخليـة ، وبـالأخص الجنوبيـة ، بمنـأى عـن تطبيـق قـرارات المنـع ، بسـبب بعـدها الجغرافـي وضعف نفوذ السلطة المركزية العثمانية فيها . (44)

(1) عائشة غطاس ، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700 _ 1830 ، ج1 ، أطروحة دكتوراه غير منشورة ، جامعة الجزائر ، 2001 ، ص32.

(2) المصدر نفسه ، ص33_34 .

(3) عمر بن قايد ، تجارة الرقيق في الجنوب الجزائري خلال القرن 19م ، مجلة دراسات تاريخية ، الجزائر ، المجلد 11 ، العدد 1 ، 2023 ، ص289_291.

مع بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830م، كانت تجارة الرقيق لا تزال منتشرة في المدن الساحلية والواحات الصحراوية، حيث بلغ عدد الرقيق الزنوج نحو عشرة الآف عبد موزعين بين الحواضر الكبرى والقبائل الداخلية ، يمارسون أعمالًا متعددة في الزراعة والرعي والخدمة المنزلية ، وترجع الجهود الأولى لإلغاء هذه التجارة إلى المبادئ التي جاءت بها الثورة الفرنسية عام 1789م الداعية إلى المساواة بين البشر، ثم تأكد هذا الاتجاه في مؤتمر باريس الثاني عام 1815م ، الذي نصّ على منع تجارة الرقيق في المستعمرات الأوروبية ، ومع دخول فرنسا إلى الجزائر عام 1830م ، شرعت في تطبيق هذه القوانين داخل أراضي الإيالة بعد أن لاحظت أنّ تجارة العبيد كانت متركزة في أيدي بعض التجار اليهود في المدن الشمالية ، وعليه فإنّ إلغاء تجارة الرقيق في الجزائر حتى عام 1835م لم يكن نتيجة تطور اجتماعي داخلي ، بل جاء ضمن السياسة الاستعمارية الفرنسية التي سعت إلى إحكام السيطرة على المجتمع الجزائري تحت غطاء إنساني، فاستبدلت الرق التقليدي بنمط جديد من الاستعباد الاقتصادي والعسكري ، وظّفت فيه الأحرار والأرقاء المحررين لخدمة مصالحها داخل البلاد وخارجها. (45)

ثانياً : مراكز تجارة الرقيق في ولاية الجزائر

تُعدّ مدينة الجزائر العاصمة المركز الأساسي لتجارة الرقيق في الإيالة العثمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، حيث كانت المدينة تمثل المحور التجاري والإداري الرئيس الذي تُنقل إليه القوافل الصحراوية القادمة من الجنوب ، كما كانت تُفرغ فيه غنائم البحر التي يجلبها الريّاس والقرصان من البحر المتوسط ، وكان الأسرى والأرقاء الوافدين إلى الميناء يُقادون فورًا إلى مكان خاص يُعرف باسم الباتستان (batistan)، وهو أشبه بـ(سوق الرقيق) ، تُجرى فيه عملية التقييم الأولى للأسرى وتقدير أثمانهم تمهيدًا لبيعهم أو توزيعهم ، بعد عرضهم في هذا السوق ، كان الداي يستأثر بجزء من الأسرى لحساب البيليك أي الدولة ، ويُوزَّع الباقون على الوجهاء والأثرياء من سكان العاصمة ، بينما يُرسل قسم آخر إلى البواخر والمشاغل التابعة للأسطول الجزائري للعمل في المجاديف والمرافئ ، ومن أهم هذه البُنى الغراند باغن (Grand bagne) والباستارده (La Bastarde) في مدينة الجزائر، اللذان ضما أعدادًا كبيرة من الأسرى الأوروبيين والرقيق الأفارقة ، فضلا عن عدد من سجون العمل الصغيرة المتصلة بالورش والمعامل داخل العاصمة. (46)

وبذلك يتبيّن أنّ تجارة الرقيق في إيالة الجزائر تركزت أساسًا في:

1. الجزائر العاصمة: كمركز رئيسي للبيع والتوزيع والإدارة.

(1) جمعة بن زروال ، الرق في الجنوب الجزائري في بداية الاحتلال من خلال وثائق أرشيفية فرنسية ، مجلة دراسات وأبحاث ، الجزائر ، المجلد 6 ، العدد 16 ، 2015 ، ص35_36 .

(2) A.de Voulx , Tachrifat recueil de Notes Historiques sur L'Administration de L'Ancienne Regence d'Alger , Alger imprimerie du government , 1852,p.21_23.

2. الأسـواق الداخليـة (بسـكرة – المسـيلة – بوسـعادة): كمراكـز عبـور وتجميـع للقوافـل القادمة من الجنوب.

3. السواحل والمرافئ: كمنافذ لتجارة الأسرى الأوروبيين الناتجة عن النشاط البحري .

4. الأحيـاء الخاصـة بـالرقيق والمعتـوقين : مثـل الزمالـة، التـي كانـت تشـهد حيـاة اجتماعيـة خاصة بأبناء الرقيق . [47]

ثالثاً : الموقف الدولي من تجارة الرقيق

شـهدت العلاقـات الدوليـة فـي حـوض البحـر المتوسـط خـلال القـرنين الثـامن عشـر وبدايـة التاسـع عشـر تحـولات عميقـة فـي الموقـف مـن تجـارة الرقيـق والأسـرى فـي إيالـة الجزائـر، إذ بـدأت القـوى الأوروبيـة تنظـر إلـى القرصـنة والعبوديـة باعتبارهـا ممارسـات غيـر إنسـانية لا تتماشـى مـع القـيم السياسـية والاقتصـادية الجديـدة التـي كرّسـها الفكـر الأوروبـي الحـديث ، فمنـذ منتصـف القـرن الثـامن عشـر، بـدأت المعاهـدات الدبلوماسـية التـي أبرمتهـا الجزائـر مـع كـل مـن فرنسـا وإنجلتـرا وإسـبانيا تـؤدي إلـى تراجـع نشـاط القرصـنة البحريـة الـذي كـان يشـكّل المـورد الأساسـي لتجـارة الأسـرى ، وهـو مـا يعكـس بوضـوح تـأثير السياسـة الأوروبيـة علـى النشـاط البحـري الجزائـري الذي ارتبط بتجارة الأسرى والفداء. [48]

وفـي أواخـر القـرن الثـامن عشـر ازدادت الضـغوط الأوروبيـة علـى الإيالـة العثمانيـة بـالجزائر لإنهـاء نظـام الأسـرى ، خاصـة بعـد أن أصـبحت الديبلوماسـية البحريـة البريطانيـة تتبنّـى خطابًـا إنسـانيًا ودينيًـا يـدعو إلـى تحريـر الأسـرى وإلغـاء الـرق ، غيـر أن الجزائـر ظلـت متمسـكة بهـذا النظـام لاعتبـارات اقتصـادية ودبلوماسـية ، إذ كـان فـداء الأسـرى يشـكّل مـوردًا ماليًـا مهمًـا ، ووسـيلة ضـغط علـى الـدول الأوروبيـة فـي المفاوضـات والمعاهـدات ، أمـا التحـول الجـذري فقـد جـاء بعـد مـؤتمر فيينـا عـام 1815، حـين قـررت الـدول الأوروبيـة الكبـرى (بريطانيـا، فرنسـا، النمسـا، بروسـيا، وروسـيا) إنهـاء القرصـنة وتجـارة الرقيـق فـي البحـر المتوسـط ، وفـي هـذا السـياق، أُوفـد القائـد البريطـاني اللـورد إكسـموث(Lord Exmouth) إلـى الجزائـر عـام 1816 ليقنـع الـداي عمـر باشـا بوقـف الاسـترقاق وإطـلاق سـراح الأسـرى المسـيحيين، غيـر أن المفاوضـات فشـلت، فشـنّت بريطانيـا وهولنـدا هجومًـا علـى مدينـة الجزائـر فـي 27 آب 1816، أدى إلـى تـدمير جـزء كبيـر مـن الأسـطول الجزائـري وإجبـار الـداي علـى توقيـع معاهـدة جديـدة تـنص علـى تحريـر جميـع الأسرى المسيحية . [49]

(3)Abla Gheziel , Captifs et captivites en mediteranee a l'epoque modern : Captifs et captivite dans laregence d'Alger (xviie _ debut xixe siècle) , Cahiers de la Mediterranee , 87 , 2013., op.cit , p3_4.

(1)Abla Gheziel , op.cit , p4.

(2) ibid , op.cit , p9 .

وقد بلغ عدد المفرج عنهم ما بين 1100 و1600 أسير، غير أن هذا لم يعنِ إلغاء الرق بمعناه العام ، إذ استمرت تجارة العبيد السود القادمة من الصحراء وبلاد السودان حتى العقود اللاحقة ، ولم يصدر القرار الرسمي بإلغاء العبودية إلا بعد الاحتلال الفرنسي ، بمرسوم 27 نيسان 1848، ثم قانون 15 عام 1906 الذي أنهى تمامًا هذه الممارسات على الأراضي الجزائرية ، وهكذا يمكن القول إن الموقف الدولي من تجارة الرقيق في الجزائر مرّ بمرحلتين أساسيتين:1.**مرحلة الضغط الدبلوماسي الأوروبي** : شهد القرن الثامن عشر تحوّلًا ملحوظًا في الموقف الأوروبي من تجارة الرقيق ونظام الأسر في إيالة الجزائر، حيث انتقلت الدول الأوروبية الكبرى من سياسة القبول الضمني ودفع الإتاوات إلى مرحلة الضغط الدبلوماسي المنظم ، فقد بدأت فرنسا وبريطانيا وإسبانيا تنظر إلى القرصنة الجزائرية واحتجاز الأسرى الأوروبيين بوصفهما عائقًا أمام ازدهار التجارة المتوسطية ، ومنذ النصف الثاني من القرن الثامن عشر عرف تكثيفًا للبعثات الدبلوماسية الأوروبية نحو الجزائر، حيث سعت القنصليات إلى إبرام معاهدات سلمية مع الداي، تهدف إلى حماية الرعايا الأوروبيين من الأسر، وتنظيم الملاحة البحرية ، وتحديد شروط فداء الأسرى ، وقد ترافقت هذه المعاهدات مع ضغوط سياسية متزايدة ، تمثلت في التهديد بقطع العلاقات التجارية أو فرض حصار بحري مؤقت ، وإنما أسهمت أساسًا في تقليص عدد الأسرى الأوروبيين وتنظيم عمليات الفداء ، ومهدت للتدخل العسكري الأوروبي المباشر عام 1816، ثم الاحتلال الفرنسي عام 1830. [50].

2.**مرحلة التدخل العسكري (1815–1816)** :

استخدمت القوة العسكرية للضغط على الداي من أجل إنهاء أعمال القرصنة وتحرير الأسرى ، وانتهت بحملة عام 1816 بقيادة اللورد إكسماوث ، وتوقيع معاهدة التي تعهّد فيها الداي (بإلغاء استعباد المسيحيين إلى الأبد) . [51]

رابعاً : الآثار الاجتماعية لتجارة الرقيق

أدّت تجارة الرقيق في إيالة الجزائر خلال العهد العثماني إلى ظهور جملة من التحولات الاجتماعية ذات التأثير العميق في بنية المجتمع الحضري ، خاصة في مدينة الجزائر ويمكن تلخيص هذه الآثار على النحو الآتي:

1- **تكوين مجتمع خاص بالعبيد والمعتوقين :** أدّت تجارة الجزائر لنشوء فئة اجتماعية مستقلة نسبيًا داخل المجتمع الحضري ، وضمّت هذه الفئة عبيدًا وأسرى ومعتوقين ، بعضهم خدم في القصور والمنازل ، وآخرون عملوا في الورش والمرافئ ، وقد تشكّل بينهم نوع من التضامن والعلاقات الخاصة ، مما منحهم هوية اجتماعية متميزة داخل النسيج العام للمدينة .

(1)Abla Gheziel , op.cit , p.4.

(2) Shaw Thomas , Voyage dans la regence d’Alger , paris , Chez Marlin editeur , 1830 , p.182_185 .

2- **نشـوء فئـة دائمـة مـن الرقيـق ذوي الأصـول الإفريقيـة**: كـان القسـم الأكبـر مـن الرقيـق فـي الجزائـر مـن ذوي الأصـول الإفريقيـة السـوداء الـذين جُلبـوا مـن بـلاد السـودان الغربـي عبـر القوافـل المـارة مـن الجنـوب نحـو الشـمال ، وكانـت مراكـز العبـور فـي بسـكرة ، والمسـيلة ، وبوسـعادة تمثّـل نقـاط تجميـع للرقيـق قبـل نقلهـم إلـى العاصـمة ، وقبـل بـيعهم كـان كثيـر مـنهم يخضـعون لعمليـة تأهيـل تشمل تعليم اللغة العربية وبعض مبادئ الإسلام ، بهدف دمجهم ثقافيًا في المجتمع الجديد .

3_ **ظهـور أحيـاء خاصـة بـالمعتوقين (العبيـد المحـررين):** بعـد تحريـر عـدد مـن الرقيـق ، نشـأت تجمعـات سـكنية خاصـة بهـم فـي العاصـمة الجزائريـة ، أبرزهـا حـي (الزمالـة) أو (القريـة الزنجيـة) ، وقـد شـكّلت هـذه الأحيـاء نـواة ديموغرافيـة جديـدة ذات طـابع إفريقـي داخـل المـدن السـاحلية ، وأسهمت في تنوّع البنية السكانية. (52)

4_ **صـعوبات الانـدماج الاجتمـاعي :** واجـه المعتوقـون بعـد تحريـرهم تحـديات كبيـرة فـي سـبيل الانـدماج داخـل المجتمـع الجزائـري ، نتيجـة اسـتمرار النظـرة التراتبيـة القائمـة علـى اللـون والخلفيـة العبوديـة ، فقـد كـان مـن الصـعب علـى المجتمـع أن يمحـو بشـكلٍ سـريع آثـار قـرون مـن التمييـز ، لـذلك كـان الانـدماج الاجتمـاعي يـتم بـبطء ، وغالبًـا ضـمن الأحيـاء الشـعبية ومجـالات العمـل الحرفي ، قبل أن يبدأ أولئك الأفراد تدريجيًا في اكتساب مواقع اقتصادية واجتماعية جديدة.

5_ **تكـوين شـبكات زواج داخليـة قبـل الإنـدماج :** كانـت فئـة المعتـوقين تميـل فـي البدايـة إلـى الـزواج فيمـا بينهـا للحفـاظ علـى التماسـك الاجتمـاعي ، ومـع مـرور الـزمن ، بـدأت هـذه الفئـات تختـرق الحـدود الاجتماعيـة القائمـة وتـدخل فـي علاقـات زواج مـع فئـات أخـرى مـن المجتمـع ، وهـو مـا سـاهم تـدريجيًا فـي انصـهار هـذه الفئـة داخـل النسـيج الاجتمـاعي الحضـري وتلاشـي بعـض الفـوارق السابقة. (53)

6_ **الـرق كمصـدر اقتصـادي واجتمـاعي للطبقـة الحاكمـة :** تحوّلـت تجـارة الرقيـق إلـى نشـاط اقتصـادي مهـم داخـل الإيالـة ، حيـث اسـتفاد منهـا الوجهـاء والتجـار الكبـار والدولـة نفسـها ، فعمليـات الفـداء التـي كانـت تشـمل الأسـرى الأوروبيـين ، وأصـبحت جـزءًا مـن النظـام الاقتصـادي الرسـمي للدولة .

7_ **تعميـق التفـاوت الطبقـي داخـل المجتمـع:** سـاهم وجـود نظـام الـرق فـي تعزيـز التراتبيـة الاجتماعيـة ، إذ وُضـع الرقيـق فـي أسـفل السـلم ، يليهم المعتوقـون ، ثـم الأحـرار مـن سـكان المـدن والقبائـل ، ممـا خلـق فـوارق طبقيـة واضـحة واسـتمرارًا لمفهـوم (الملكيـة البشـرية) حتـى بـدايات القرن التاسع عشر.

(1)Abla Gheziel , op.cit , p.77_78 .

(2) خديجة أوزيفي ، المصدر السابق ، ص298_299.

8_ **التنوع الثقافي والاجتماعي الناتج عن اختلاط الأجناس:** أدّت تجارة الرقيق إلى إدخال عناصر بشرية جديدة إلى المجتمع الجزائري ، من أفارقة وأوروبيين وأسرى من مناطق مختلفة في المتوسط ، ونتيجة لذلك ، ظهرت مظاهر من التبادل الثقافي واللغوي ، حيث انتقلت بعض العادات والألفاظ والمهارات إلى البيئة المحلية ، وقد أسهم هذا التنوع في إغناء المظاهر الحضرية في العاصمة والمدن الساحلية. (54)

9_ **استمرار آثار الرق بعد التحرير :** ظلّ المعتوقون مرتبطين بأسيادهم السابقين من حيث العمل أو الولاء الاجتماعي ، ولم يتمكّنوا بسهولة من الاندماج الكامل في المجتمع الحر بسبب الفوارق الطبقية والاقتصادية ، وقد استمر وجود هذه الفئة حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، أي بعد الاحتلال الفرنسي، حيث بقيت آثار الرق واضحة في البنية الاجتماعية وفي أسماء العائلات ومهنها . (55)

10_ **التأثير في تشكيل الهوية الثقافية للمدينة :** ساهمت هذه الفئة في إثراء الهوية الثقافية والموسيقية للمدينة ، إذ أدخلت إيقاعات وأنماطًا غنائية ذات جذور إفريقية أثّرت بشكل واضح في الطرب الشعبي والموسيقى الجزائرية ، وأضافت مظاهر احتفالية وروحانية خاصة على الفضاء الحضري ، وهكذا أصبح الإرث الثقافي للعبيد السود جزءًا لا يتجزأ من الشخصية الاجتماعية لمدينة الجزائر. (56)

المبحث الثالث

تجارة الرقيق في ولاية تونس

أولاً : بداية التجارة بالرقيق

تعود تجارة الرقيق في إيالة تونس إلى فترة مبكرة من تاريخ الإيالة ، إلا أنّها ازدادت وضوحًا وانتظامًا منذ بداية القرن الثامن عشر مع نشوء العهد الحسيني (1705–1814) ، فقد أصبحت الإيالة إحدى المحطات الرئيسية للتجارة مع بلاد السودان جنوب الصحراء ، وكانت تحمل بالرقيق السود إلى جانب العاج وريش النعام وغبار الذهب ، وقد خصّصت تونس سوقًا أسبوعيًا لبيع الرقيق يعرف باسم (سوق البركة) ، يُعرض فيه الرقيق كل يوم جمعة ، قبل أن يتم توزيعهم إلى داخل المدن أو إعادة تصدير بعضهم إلى مراكز أخرى . (57)

(3)Abla Gheziel , op.cit , p.83.

(4)ibid , p.83 .

(1) خديجة أوزيفي ، المصدر السابق ، ص301 .

(1) محمد رابحي ، الواقع الاقتصادي في إيالة تونس خلال العهد الحسيني (1117 _ 1229هـ / 1705 _ 1814م) . أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة محمد خيضر ، الجزائر ، 2025 ، ص171 .

وقد شكلت تجارة الرقيق في إيالة تونس خلال فترة العهد الحسيني (1705–1814م) جانباً مهماً من الواقع الاقتصادي للإيالة ، إذ لم تكن تونس بمعزل عن الطرق التجارية التقليدية العابرة للصحراء الكبرى ، وأشارت المصادر إلى أن الإيالة كانت تستورد الرقيق كسلعة أساسية من دول المغرب العربي المجاورة ، لا سيما من ولايتي الجزائر وطرابلس الغرب ، فضلاً عن المغرب الأقصى ، كما كان لمدينة فزان التابعة لإيالة طرابلس الغرب دور بارز كمصدر رئيسي للرقيق القادمين إلى تونس في عام 1724م . [58]

القوافل التي كانت تعبر الصحراء من السودان نحو تونس جلبت معها العبيد السود الذين عُرضوا للبيع في الأسواق الكبرى مثل تونس وسوسة والقيروان ، حيث كان هؤلاء يُستخدمون في خدمة الأسر الثرية وفي القصور التابعة للباي ، واستمرت تجارة الرقيق في تونس طوال القرون السابقة للقرن التاسع عشر، وكانت تتغذّى أساسًا من الطرق التجارية القادمة من السودان ومنطقة فزّان وطرابلس الغرب، في حين مثّل ميناء تونس العاصمة وسوق البركة مركزًا رئيسيًا لتجارة الرقيق وتوزيعهم داخل البلاد ، ومن خلال هذا النشاط ، أصبح الرق عنصرًا بنيويًا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية ، حيث كان يُستفاد من الرجال في الأعمال المنزلية والزراعية ، ومن النساء في الخدمة داخل القصور ،ومع اقتراب منتصف القرن التاسع عشر بدأت هذه المؤسسة التقليدية تتراجع تدريجيًا بفعل الضغوط الأوروبية والإصلاحات التي تبنّتها السلطة الحسينية لاحقًا. [59]

ثانياً : أين تتركز تجارة الرقيق

1_ **العاصمة تونس (السوق المركزي للرقيق):** كانت أنّ مدينة تونس العاصمة كانت المركز الأكبر لتجارة الرقيق ، حيث وُجد سوق مخصص لهذه التجارة يُعرف باسم (سوق البركة) ، كان هذا السوق منظمًا تحت إشراف السلطات ، وتُعرض فيه أعداد من الرقيق القادمين من الجنوب أو من الموانئ البحرية ، ويُحدَّد سعرهم حسب العمر والقوة والجنس والمهنة. [60] ، تركّزت تجارة الرقيق في مدينة تونس لأنها كانت تضم العدد الأكبر من السجون المخصّصة للأسرى الذين يُستخدمون كعبيد أو يُفادون بالمال. [61]

2_ **مدينة سوسة:** ثاني أهم مركز لتجارة الرقيق بعد العاصمة ، إذ كانت ميناءً نشطًا يستقبل السفن القادمة من طرابلس وبرقة، فضلاً عن قوافل القادمين من الجنوب ، وكانت عمليات البيع في سوسة كانت تُجرى غالبًا لصالح المزارعين والتجار المحليين .

3_ **مدينة القيروان:** تعد أقدم المدن التي ازدهرت فيها تجارة الرقيق ، نظرًا لموقعها في وسط البلاد وارتباطها بطريق القوافل الصحراوية القادمة من فزّان والسودان، مما جعلها محطة داخلية رئيسية لتوزيع الرقيق في المناطق الوسطى.

---

(2) محمد رابحي ، المصدر السابق ، ص161 .

(3)Auguste Pavy , Histoire de la Tunisi , Tours , Alfred Cattier , E’diteur , 1894 , p.325_332.

(1) Auguste Pavy , op.cit , p.348.

(2) محمد رابحي ، المصدر السابق ، ص221_222 .

4_ **الجنـوب التونسـي (قبلـي وقـابس) :** شـكّل نقطـة مراكـز اسـتقبال أوليـة للقوافـل العـابرة للصـحراء وتجميـع للرقيـق السـود القـادمين مـن فـزان وودان وتمبكتـو، حيـث يصـنفون فـي الأسواق وفقًا للجنس والعمر والقدرة البدنية. 62()

ثالثاً : الموقف الدولي من تجارة الرقيق

خـلال النصـف الأول مـن القـرن التاسـع عشـر، أصـبحت تجـارة الرقيـق فـي إيالـة تـونس ، محـط اهتمـام متزايـد مـن قبـل القـوى الأوروبيـة ولاسـيما بريطانيـا وفرنسـا التـي سـعت لإلغـاء تجـارة الرقيـق أو تنظيمهـا ، مـع التركيـز علـى الأسـواق الرئيسـة مثـل العاصـمة تـونس وسوسـة وصـفاقس ، ومـع ذلـك ، كانـت السـلطة الحسـينية تتعامـل مـع هـذه المطالـب بحـذر شـديد، محافظـة علـى تـوازن دبلوماسي بين الالتزامات الداخلية والضغوط الخارجية ، ومن أهم الدول هي :

1_ بريطانيـا: كانـت بريطانيـا الدولـة الأكثـر نشـاطًا فـي معارضـة تجـارة الرقيـق فـي إيالـة تـونس خـلال النصـف الأول مـن القـرن التاسـع عشـر، فقـد تبنّـت سياسـة واضـحة لمناهضـة الـرق ، وسـعت عبـر قناصـلها فـي المـوانئ التونسـية لإقنـاع البـاي بإلغـاء تجـارة العبيـد أو الحـد منهـا تـدريجيًا ، وأرسلت مذكرات احتجاج إلى السلطات مطالبة بإصدار تشريعات تنظيمية أو إلغائية. 63()

2_ **فرنسـا:** مارسـت فرنسـا ضـغوطًا سياسـية ودبلوماسـية مشـابهة للضـغوط البريطانيـة ، خاصـة بعـد ترسـيخ وجودهـا فـي الجزائـر عـام 1830م ، وسـعت مـن خـلال هـذه الضـغوط إلـى توسـيع نفوذها الأخلاقي والسياسي في المنطقة المغاربية ، و القضاء على تجارة الرقيق في تونس.

3_ **موقـف السـلطة الحسـينية فـي تـونس قبـل 1835:** علـى الـرغم مـن الضـغوط الأوروبيـة ، كانـت السـلطة الحسـينية تتعامـل مـع هـذه المطالـب بحـذر شـديد ،فاكتفـت بإظهـار قـدر مـن المرونـة الدبلوماسـية أمـام القناصـل الأوروبيـين دون اتخـاذ إجـراءات عمليـة ، خشـية أن يُفهـم أي اسـتجابة علـى أنهـا خضـوع للتـأثير الأجنبـي ، ومـع ذلـك ، مهـدت المراسـلات البريطانيـة والفرنسـية الطريـق للإصـلاحات التدريجيـة التـي أعلنهـا أحمـد بـاي عـام 1846 بإصـدار مرسـوم إلغـاء الـرق نهائيًـا فـي تونس . 64()

رابعاً : الآثار الاجتماعية لتجارة الرقيق في ولاية تونس

كـان لتجـارة الرقيـق فـي تـونس آثـارًا اجتماعيـة عميقـة ومتعـددة الجوانـب ، سـواء علـى البنيـة السـكانية أو علـى طبيعـة العلاقـات الاجتماعيـة والاقتصـادية داخـل المجتمـع التونسـي ، ويمكـن تلخيصها فيما يلي:

1. **تشـكّل طبقـة اجتماعيـة دنيـا :** أدى الـرق إلـى ظهـور طبقـة مـن العبيـد والمحـرَّرين (العتقاء) داخل المجتمع ، كانت تحتلّ المراتب الأدنى في السلم الاجتماعي .

(3)Auguste Pavy , op.cit , p.349_350.

(4) ibid , p.333_336 .

(1)Auguste Pavy , op.cit , p. 337_340.

2. **اعتمــاد اقتصــادي واجتمــاعي علــى عمــل الرقيــق**: مثّــل الرقيــق عنصــرًا أساســيًا فــي الاقتصــاد المنزلــي والزراعــي ، فاســتُخدم الرجــال فــي خدمــة الحقــول والإســطبلات ، بينمــا عملــت النساء في المنازل أو في تربية أطفال الأسر الميسورة .

3. **اخـتلاط ثقـافي ودينـي:** بسـبب تنـوع أصـول الرقيـق القادمـة مـن إفريقيـا جنـوب الصـحراء ، عرفـت تـونس تنوعًـا عرقيًـا وثقافيًـا جديـدًا أثّـر علـى الموسـيقى والعـادات وحتـى المظـاهر الدينيـة ، حيث اعتنق معظم الرقيق الإسلام وتبنّوا الثقافة المحلية تدريجيًا . (65)

4. **ترسـيخ التراتـب الاجتمـاعي:** سـاهمت هـذه التجـارة فـي تثبيـت الفـوارق الطبقيـة بـين الأحرار والعبيد ، إذ اعتُبر الرقيق من الممتلكات القابلة للبيع والوراثة .

5. **نشـوء فئـة مـن المحـرَّرين (العتقـاء):** ظهـرت فئـة وسـطى بـين العبيـد والأحـرار، وهـم مـن نـالوا حـريتهم عـن طريـق العتـق أو الهبـات ، لكـنهم ظلّـوا مـرتبطين اجتماعيًـا واقتصـاديًا بأسـيادهم السابقين

6. **التــأثير فــي البنيــة الســكانية:** ســاهم تــدفق الرقيــق مــن إفريقيــا فــي تغييــر التكــوين الديموغرافي لمدن الساحل والعاصمة ، إذ ظهرت أحياء سكنية تضم أعدادًا كبيرة من السود .

7. **موقـف دينـي محـافظ :** ظـلّ رجـال الـدين خـلال هـذه المـدة يـدافعون عـن الـرق باعتبـاره نظامًـا شـرعيًا مسـتندًا إلـى نصـوص الفقـه الإسـلامي ، مـا جعـل محـاولات الإصـلاح تصـطدم بعقبات فقهية واجتماعية قوية حتى منتصف القرن التاسع عشر.

8. **التمهيـد للتغييـر الاجتمـاعي :** سـاعد الاحتكـاك بـالأوروبيين والإصـلاحات البطيئـة فـي عهد البايات على تهيئة المجتمع تدريجيًا لتقبّل إلغاء الرقّ عام 1846م .

الخاتمة :

بعـد التطـرق لموضـوع تجـارة الرقيـق فـي ولايـات المغـرب العربـي (1711_1835م) تـم التوصـل إلـى الإستنتاجات التالية :

1. أظهـر البحـث أن تجـارة الرقيـق شـكلت إحـدى الظـواهر الاقتصـادية والإجتماعيـة الأساسـية فـي ولايـات المغـرب العربـي خـلال القـرنين الثـامن عشـر وبـدايات التاسـع عشـر ، وأسـهمت فـي تشـكيل البنيـة الاقتصـادية والإجتماعية والسياسية لهذه الولايات .

2. تبـين أن أنمـاط تجـارة الرقيـق إختلفـت مـن ولايـة إلـى أخـرى ، إذ إعتمـدت طـرابلس الغـرب أساسـاً علـى القوافـل الصـحراوية ، بينمـا غلـب الطـابع البحـري القـائم علـى الأسـر والفـداء علـى ولايـة الجزائـر ، وولايـة تـونس إتسمت بدرجة أكبر من التنظيم الإداري والتأثر المبكر بالإصلاحات .

3. أسـهمت تجـارة الرقيـق فـي دعـم المـوارد الماليـة للدولـة وتـوفير اليـد العاملـة ، إلا إنهـا خلفـت فـي المقابـل آثاراً إجتماعية و إنسانية عميقة ، تمثلت في ترسيخ التفاوت الاجتماعي وإستمرار مظاهر الإستغلال .

4. لعـب الموقـع الجغرافـي الإسـتراتيجي لولايـات المغـرب العربـي دوراً محوريـاً فـي إزدهـار هـذه التجـارة ، بوصفه حلقة وصل بين عمق القارة الأفريقية والعالم المتوسطي .

5. كشـف الحـث أن الموقـف الـدولي مـن تجـارة الرقيـق ، ولاسـيما الضـغوط الأوربيـة ، شـكل عـاملاً حاسـماً في الحد التدريجي منها وتحويلها إلى أداة ضغط سياسي للتدخل في شؤون ولايات المغرب العربي .

(2) ibid , p.341_343 .

6. أدى تراجع تجارة الرقيق إلى إضعاف بعض الموارد الإقتصادية التقليدية ، وأسهم في تعميق الأزمات الداخلية ، مما سهل تزايد النفوذ الأوربي خلال القرن التاسع عشر .

7. وقد خلص البحث إن تجارة الرقيق لم تكن نشاطاً إقتصادياً معزولاً بل ظاهرة مركبة إرتبطت إرتباطاً وثيقاً بمسار التحولات الاقتصادية والإجتماعية والسياسية في المغرب العربي خلال المدة المدروسة .

قائمة المصادر :

1. أبو بكر سالم المهدي الشيباني ، مدينة مرزق ودورها في تجارة العبور الصحراوية . مجلة جامعة سبها للعلوم الإنسانية ، ليبيا ، المجلد 20 ، العدد 3 ، 2021 .

2. أحمد رجب فرج ، دور طوارق الأزقر الليبية في الصراع العثماني الفرنسي في الصحراء الكبرى (1858 _ 1911م) . أطروحة دكتوراه غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، مصر ، 2018 .

3. الطاهر أحمد الزاوي ، معجم البلدان الليبية ، مكتبة النور ، ليبيا ، 1968 .

4. المبروك محمود صالح سليمان ،التجارة البحرية لأقليم برقة خلال العهدالعثماني الثاني (1835 _ 1912م) . كلية الآداب ، جامعة عمر المختار ، ليبيا، 2015 .

5. إنعام محمد شرف الدين ، مدخل إلى تاريخ طرابلس الاجتماعي والإقتصادي دراسة في مؤسسات المدينة التجارية (1711_1835) . منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، سلسلة الدراسات التاريخية رقم (27) ، طرابلس ، 1998.

6. بشير قاسم يوشع ، مدينة غدامس عبر العصور . المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، ليبيا ، 2010 .

7. تيسير بن موسى ، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني . االدار العربية للكتاب ، ليبيا ، 1988 .

8. جان كلود زليتنز ، طرابلس ملتقى أوربا وبلدان وسط إفريقيا 1500_1795 . ترجمة : جاد الله عزوز الطلحي ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، ليبيا ، 2001.

9. جمعة بن زروال ، الرق في الجنوب الجزائري في بداية الاحتلال من خلال وثائق أرشيفية فرنسية . مجلة دراسات وأبحاث ، الجزائر ، المجلد 6 ، العدد 16 ، 2015 .

10. جون فرانسيس ليون ، (من طرابلس إلى فزان 1818_1822م) . ترجمة : مصطفى جودة ، الدار العربية للكتاب ، ليبيا وتونس ، 1976 .

11. جيمس ريتشاردسن ، ترحال في الصحراء . ترجمة : الهادي مصطفى أبو لقمة ، منشورات جامعة قاريونس ، بنغازي ، 1993 .

12. خديجة أوزيفي ، التفاعل الاجتماعي للعبيد السود بمدينة الجزائر في الفترة العثمانية (1552 _ 1830م) . مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا ، الجزائر ، المجلد 6 ، العدد 2 ، حزيران 2023 .

13. خليفة إبراهيم ضو ، تجارة الرقيق في ولاية طرابلس الغرب خلال القرن التاسع عشر . رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة سبها ، 2009 .

14. رجب نصير الأبيض ، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر دراسة في التاريخ السياسي والإقتصادي . مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، ليبيا ، 1998.

15. سعدية بن سعيد و هجيرة رباحي ، مدينة سجلماسة ودورها في تجارة القوافل الصحراوية بين القرنين 2_9هـ /8_15م . رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة الجيلالي بونعامة ، الجزائر ، 2016 .

16. صالح عثمان عبد الكريم أبو الخير ، تجارة الرقيق وتأثيرها على المجتمع الليبي . مجلة السائل العلمية المحكمة ، جامعة عمر المختار ، ليبيا ، العدد 34 ، حزيران 2023 .

17. عائشــة غطــاس ، الحــرف والحرفيــون بمدينــة الجزائــر 1700 _ 1830 ، ج1 ، أطروحــة دكتــوراه ، جامعة الجزائر ، 2001 .

18. عبـد الصـمد عبـد القـادر عبـد الصـمد ، الأوربيـون وتجـارة القوافـل الصـحراوية فـي ولايـة طـرابلس الغـرب _ ليبيـا _ فـي القـرن التاسـع عشـر ومطلـع القـرن العشـرين . رسـالة ماجسـتير غيـر منشـورة ، كليـة الآداب ، جامعـة أم درمان الإسلامية ، السودان ، 2007 .

19. عمـر بـن قايـد ، تجـارة الرقيـق فـي الجنـوب الجزائـري خـلال القـرن 19م . مجلـة دراسـات تاريخيـة ، الجزائر ، المجلد 11 ، العدد 1 ، 2023 .

20. عمـر علـي بـن إسـماعيل ، إنهيـار حكـم الأسـرة القرمانليـة فـي ليبيـا 1795_1835. مكتبـة الفرجـاني ، ليبيا ، 1966 .

21. محمـد رابحـي ، الواقـع الاقتصـادي فـي إيالـة تـونس خـلال العهـد الحسـيني (1117 _ 1229هـ / 1705 _ 1814م) . أطروحـة دكتـوراه غيـر منشـورة ، كليـة العلـوم الإنسـانية والإجتماعيـة ، جامعـة محمـد خيضـر ، الجزائر ، 2025 .

22. هنريكـو دي أغسـطيني ، سـكان ليبيـا . ترجمـة خليفـة محمـد التليسـي ، ط2 ، الـدار العربيـة للكتـاب ، ليبيـا _ تونس ، 1978 .

23. وليـد شـعيب آدم ، تجـارة الرقيـق عبـر صـحراء إيالـة طـرابلس الغـرب خـلال القـرن التاسـع عشـر . دار الكتب الوطنية ، ليبيا ، 2021 .

24. ياسـمينة مصـباح وآخـرون ،الأوضـاع الاقتصـادية فـي إيالـة طـرابلس الغـرب فـي عهـد الأسـرة القرمانليـة . مجلة فكر وإبداع ، مصر ، المجلد63 ، تموز 2011 .

25. يوسـفي صـرهودة ، معـاملات ومبـادلات إقتصـادية فـي قسـنطينة أواخـر العهـد العثمـاني . رسـالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الأمير عبد القادر ، الجزائر ، 2005 .

26. Abla Gheziel , Captifs et captivites en mediteranee a l’epoque modern : Captifs et captivite dans laregence d’Alger (xviie _ debut xixe siècle) , Cahiers de la Mediterranee , 87 , 2013.

27. A.de Voulx , Tachrifat recueil de Notes Historiques sur L’Administration de L’Ancienne Regence d’Alger , Alger imprimerie du government , 1852.

28. Auguste Pavy , Histoire de la Tunisi , Tours , Alfred Cattier , E’diteur , 1894 .

29. Gerhard Rohlfs , Von Tripolis nach Alexandrien , Ester Band , Kuhtmann’s Buchhundlung , Bremen , 1871.

30. James Richardson , Travels in the Great Desert of Sahara in the years of 1845_1846 . vols. I.II , Richard Bentley , London , 1848.

29. Shaw Thomas , Voyage dans la regence d’Alger , paris , Chez Marlin editeur , 1830 . ,